عليّ أن أشرب

وقال ارتجالاً:

[مجزوء الكامل]

لِأَحِبَّتِي أَنْ يَمْلَأُوا
بِالصَّافِيَاتِ ٱلْأَكْؤُبَا[١]
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا
وَعَلَيَّ أَنْ لَا أَشْرَبَا[٢]
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا
تُ الْمُسْمِعَاتِ فَأَطْرَبَا[٣]

ليس للّه غالب

قال وقد سألوه في نفي الشماتة عنهم:

[الطويل]

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ
وَأَيِّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ[٤]
مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ[٥]

---

(١) الصافيات، الواحدة صافية، ويقصد بذلك الخمرة. الأكوب، الواحد كوب: الأقداح لا عرى لها. يطلب الشاعر ممن اعتبرهم أحبته أن يملأوا كؤوس الخمر صافية لتعاطيها معهم.

(٢) و (٣) يبذلوا: يُقدموا. الباترات: السيوف القاطعة. يشترط الشاعر على أحبته أن يشرب الخمرة معهم إن لعبت السيوف بالرؤوس وهذا ما يطربه ويفرح قلبه؛ وهذا بلا أدنى ريب من تأثير القرامطة في فكر شاب لم ينضج بعد، ولم تكتمل عِدّة الرجولة الحقّة لديه.

(٤) الصروف: المصائب، الويلات، النكبات، الرزايا. الوتر: الثأر. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجداني، يعبّر فيه عن مأساة البشر المحتومة على بني البشر جميعاً دون استثناء. لذا لا عتبَ لمخلوق أمام المصيبة لما قدّره اللّه عزّ وجل، فلا بدّ من الاستسلام والخضوع لإرادته سبحانه وتعالى، فلا يمكن طلب الثأر من هذه الفاجعة.

(٥) عازب: بعيد. يروى «يعطى» بفتح الطاء بدلاً من «يعطي» بكسر الطاء. لقد رحل =

يَـزُورُ ٱلْأَعَـادِي فِـي سَـمَـاءِ عَـجَـاجَـةٍ
أَسِـنَّـتُـهُ فِـي جَـانِـبَـيْـهَـا ٱلْـكَـوَاكِـبُ (١)
فَـتُـسْـفِـرُ عَـنْـهُ وَالـسُّـيُـوفُ كَـأَنَّـمَـا
مَـضَـارِبُـهَـا مِـمَّـا ٱنْـفَـلَـلْـنَ ضَـرَائِـبُ (٢)
طَـلَـعْـنَ شُـمُـوسـاً وَالْـغُـمُـودُ مَـشَـارِقٌ
لَـهُـنَّ وَهَـامَـاتُ الـرِّجَـالِ مـغـارِبُ (٣)
مَـصَـائِـبُ شَـتَّـى جُـمِّـعَـتْ فِـي مُـصِـيـبَـةٍ
وَلَـمْ يَـكْـفِـهَـا حَـتَّـى قَـفَـتْـهَـا مَـصَـائِـبُ (٤)
رَثَـى ٱبْـنَ أَبِـيـنَـا غَـيْـرُ ذِي رَحِـمٍ لَـهُ
فَـبَـاعَـدَنَـا مِـنْـهُ وَنَـحْـنُ ٱلْأَقَـارِبُ (٥)

= المغفور له عن أحبائه وأقربائه وأصدقائه الذين كانوا ينعمون بفضله عند النكبات، وهو يُعينهم بما يستطيع، ويحملهم على الصبر في المواطن الحرجة التي لا يمكن فيها الصبر.

(١) ورد البيت في: أسرار البلاغة للجرجاني: ٢٠٠. العجاجة: الغبار. الأسنة: رؤوس الرماح. من طبيعة الشعر التكسبيّ المدح حتى في ظلال قصائد الرثاء. زيارات المغفور له لأعدائه تتوالى، حيث يتصاعد الغبار، وتلمع الأسنة، وتتهاوى السيوف على رقاب أعدائه معلنة انتصاره.

(٢) و (٣) تسفر: تكشف. مضارب السيوف: حدودها وظباتها. انفللن: انثلمن. الضرائب، الواحدة ضريبة: أي المضروبة بحدّ السيف. تنكشف المعركة عن انتصار ذلك البطل، وقد تثلّمت السيوف التي يستعملها جنده لكثرة ما ضُربت برؤوس أعدائه، وكأنها ضربت برؤوسهم فانثلمت. ولقد أشرقت كأنها شمس مشعّة شديدة الحرارة تذيب رؤوس أعدائه، تعلوها ثم تذوب فيها كأنها تؤذن بغروب حياة الأعداء. فيتهاوون صرعى.

(٤) شتى: متعدّدة. قفتها: تلتها. اجتمعت المصائب من جداول واتّحدت لتؤلف نهراً كبيراً صبّت في بحيرة تلك الفاجعة بفقد من اتهمنا بأنّا شامتون لفقد من عزّ علينا موته.

(٥) يروى «غير ذي رحم لنا» بدلاً من «غير ذي رحم له». ثَمَّة من رثى فقيدنا ولا تربطه بنا وبفقيدنا رابطة قرابة مظهراً شماتتنا بموته، والحقّ أنّ موت ابن العمّ آلمنا وأحزننا دون الأباعد ممن يعملون على تمزيق وحدة قرابتنا.

وَعَـــرَّضَ أَنَّـــا شَـــامِـــتُـــونَ بِـــمَـــوْتِـــهِ
وَإِلَّا فَـــزَارَتْ عَـــارِضَـــيْـــهِ الْـــقَـــوَاضِـــبُ[١]
أَلَـــيْـــسَ عَـــجِـــيـــبـــاً أَنَّ بَـــيْـــنَ بَـــنِـــي أَبٍ
لِـــنَـــجْـــلِ يَـــهُـــودِيٍّ تَـــدِبُّ الْـــعَـــقَـــارِبُ[٢]
أَلَا إِنَّـــمَـــا كَـــانَـــتْ وَفَـــاةُ مُـــحـــمَّـــدٍ
دَلِـــيـــلاً عَـــلَـــى أَنْ لَـــيْـــسَ لِـــلَّـــهِ غَـــالِـــبُ[٣]

والدنيا لمن غلبا

يمدح المغيث بن عليّ بن بشر العجلي: [البسيط]

دَمْـعٌ جَـرَى فَـقَـضَـى فِـي الـرَّبْـعِ مَـا وَجَـبَـا
لِأَهْـــلِـــهِ وَشَـــفَـــى أَنَّـــى وَلَا كَـــرَبَـــا[٤]
عُـــجْـــنـــا فَـــأَذْهَـــبَ مَـــا أَبْـــقَـــى الْـــفِـــرَاقُ لَـــنَـــا
مِـــنَ الْـــعُـــقُـــولِ وَمَـــا رَدَّ الَّـــذِي ذَهَـــبَـــا[٥]
سَـــقَـــيْـــتُـــهُ عَـــبَـــرَاتٍ ظَـــنَّـــهَـــا مَـــطَـــراً
سَـــوَائِـــلاً مِـــنْ جُـــفُـــونٍ ظَـــنَّـــهَـــا سُـــحُـــبَـــا[٦]

---

(١) التعريض: اللمح والغمز. العارضان: جانبا لحية المرء. القواضب: السيوف البتّارة. لقد كان من أمر من رثى قريبنا رمي الشقاق بين الأقرباء ليصيد بالماء العكر فيفلّ وحدة القرابة بتلميحه أننا فرحون بذلك المصاب، فإن لم يرتدع فسوف تزوره سيوفنا البتّارة وتقسم عارضيه نصفين.

(٢) النجل: الولد. دبيب العقارب: كناية عن النميمة. يقرّر الشاعر حقيقة أنه قد يدخل بين الأقرباء من يعمل على تمزيق وحدتهم بالدّسّ وبذر بذور الشقاق والنميمة، إنه يهودي ابن يهودي لا يحبّ الخير للبشر يعمل بخبث لا يكلّ ولا يملّ. وهذا ديدنه الأبدي.

(٣) ينهي الشاعر قصيدته، بدعوة أقرباء محمد بأن يُقرّوا بحقيقة أن صاحبهم الذي استعصى على أعدائه فغلبهم قد غلبته إرادة خالق الموت سبحانه وتعالى.

(٤) أنّى: اسم استفهام يُفيد الاستبعاد. يبدأ المتنبي قصيدته بمطلع تقليدي بالوقوف على الأطلال. لقد أثارت بقايا باهتة في ذلك الربع الذي رحل عنه الأحبة ألم الشاعر فبكى ذكريات حبّ دفنته الأيام والمصائب، وذلك من حقّ تلك الديار عليه أن تستدرّ دموعاً فتغسل الأحزان، ولكن ذلك مستبعد ولا يمكن حدوثه.

(٥) و (٦) عاج: عرَّج، مال ووقف. استوقف الشاعر صحبه على تلك الديار ليتلمّس بقايا =